من تراب الطريق ! (٦٩٩)

يوم فارق [*] ومأساة متعددة الآثار

(١)

قبعت مذكرات ونستون تشرشل ـ تعريب خيرى حماد ، فى مكتبى قرابة نصف قرن ، لم تمتد إليها يدى إلاّ لتعيدها ، وأخيرًا عَنَّ لى أن أعكف عليها لأرى حياة هذا السياسى الإنجليزى العتيد ، والحياة السياسية فى بلده ، وتضاعيف الحرب العالمية الثانية التى صرح فى مقدمته أن مجلدات مذكراته هى تكملة لقصة الحرب العالمية الأولى التى سطرها فى كتبه : « الأزمة العالمية » و« الجبهة الشرقية » و« الثمار » . مبديًا أنه حاول فى هذه السلسلة الجديدة ، كما حاول فى سابقاتها ، أن يتبع ـ قدر ما يستطيع ـ أسلوب دانيال ديفو فى كتابه « يوميات فارس » بحيث يربط بين تاريخ الأحداث ذات الأهمية العسكرية والسياسية القصوى وبين خيط تجاربه الشخصية التى عبرها كفرد ، ومبديًا أيضًا ـ دون تفاخر ـ أنه لعله الوحيد الذى مر بجائحتى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وهو يتبوأ فى كل منهما منصبًا كبيرًا مسئولاً ، ولكن بينما كان ما يشغله فى الحرب الأولى من مراكز مسئولة، كانت مناصب تابعة ، لا يمتلك فيها القرار الأول ، فإنه صار فى الحرب الثانية ، ولمدة خمس سنوات ، رئيس حكومة بريطانيا التى يطلق عليها دومًا حكومة « صاحبة الجلالة » . ثم يقول إن ما يكتبه لا يزعم أنه تاريخ ، فهذا

(*) المال فى ٦ /٨/٢٠١٤

شأن الأجيال القادمة ، ولكنه يستطيع أن يدعى ـ فى غير تواضع ـ أن ما يكتبه إسهام فى التاريخ ، قد يكون كبير النفع فى المستقبل .

وظنى أن ما كتبه ـ اتفقت أم اختلفت معه ـ كبير النفع فعلاً ، وظنى ـ بصدق ـ أننى استفدت وانتفعت كثيرا من مذكرات هذا السياسى الداهية ، وعرفت لماذا قد تبوأ ما تبوأه ، والملكات العديدة التى تمتع بها ، فضلاً عن الدهاء والصبر والمثابرة ، والموضوعية أيضًا ، والفصل بقدر مستطاعه كإنسان ، بين الموضوعى والشخصى ، وبين العام والخاص ، وعرفت أيضًا كيف تسير الحياة السياسية فى تلك البلاد ، بلا فهلوة ، ولا ادعاء ، ولا تخوين ، ولا إسفاف ، ولماذا ـ من ثم ـ استطاعت رغم محاصرتها بالبحر من جميع النواحى ، أن تصير قوية مسموعة فى أوروبا ، وقوية مسموعة فى العالم قبل أن تسحب الولايات المتحدة البساط منها فى وقت تآكلت فيه تباعًا أجزاء الإمبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس !

ليس فى نيتى ، ولا هو متاح ، أن أعرض هذه المذكرات ، فهى بالغة العراضة والدسامة ، ولم أستطع شخصيًّا أن أمضى فيها دون أن أرجع من وقت لآخر إلى الموسوعات ، وظنى أن جوجل والإنترنت ساعدانى كثيرًا ، لمعرفة الشخصيات التى ترد أسماؤها والوقائع أو الأماكن التى يشير إليها دون شرح ، لأنها معروفة ـ فى الغالب ـ للقارئ الغربى أو الأوروبى على التخصيص ، فكان استكمال المعلومات لازمًا لأتمتع ـ وقد تمتعت ـ بهذه المذكرات .

وأقتصر فقط ـ فى هذه السطور القليلة ، على « يوم فارق » وقعت فيه مأساة أسماها ونستون تشرشل « مأساة ميونيخ » ، وهى فى الواقع مأساة متعددة الآثار ، على بريطانيا ، وعلى ألمانيا ، وعلى أوروبا ، وتداعيات هذه الآثار كانت مؤثرة فى اندلاع الحرب العالمية الثانية وما خالطها من مآسٍ كابدها العالم .

لقد تتبع ونستون تشرشل فى المذكرات ، مقدمات الحرب العالمية الثانية، وما قاد إليها بعد الحرب العالمية الأولى ، وتتبع فيما تتبعه صعود نجم « العريف الألمانى » أدولف هتلر ، منذ أصيب فى أكتوبر ١٩١٨ بالعمى المؤقت ، من جراء غاز الخردل ، أثناء هجوم بريطانيا خلال الحرب الأولى التى وضعت أوزارها فى نوفمبر ١٩١٨ ، إلى أن صار العريف ـ الفوهرر ، الحاكم الأوحد والمستبد الأوحد بألمانيا ، ومخططه المتنامى لتسليح ألمانيا وزيادة قوتها العسكرية رغم المعاهدات والالتزامات والقيود الواردة فيها ، وتردد وتراجع بريطانيا وفرنسا وغيرهما مما أدى إلى قلب الموازين التى ظن الحلفاء أن معاهدات الحرب الأولى كفيلة بحفظها فى الإطار الذى أرادوه للسيطرة على جموح ألمانيا .

تضاعيف هذه وتلك عديدة فى المذكرات ، بيد أن اللقطة التى أردت الوقوف عندها وطرحها هنا ، هى ما أسماه تشرشل « مأساة ميونيخ » التى فيها تمت التضحية بتشيكوسلوفاكيا ، وانطلاق الدكتاتور الألمانى ، مقابل انخذال فرد فى بريطانيا العظمى ، أدى استقلاله بما فعل ، إلى تخاذل عام أصاب بريطانيا وفرنسا والمعسكر الأوروبى الذى تقفان فيه ، وإلى تهيئة

الظروف ، فى هذه اللحظة الفارقة ـ لانطلاق الدكتاتور النازى الذى تسبب فى الحرب العالمية الثانية .

إن اليوم الفارق سبقته أيام ، ولكن تركز المشهد المأساوى فى يوم ٣٠/ ٩/ ١٩٣٨ .. بدأت المقدمات بغزو واحتلال النمسا ، وإفصاح الفوهرر لقادته العسكريين عن نيته مهاجمة تشيكوسلوفاكيا ، بيد أن القادة نقلوا إليه مخاوفهم من أن الجيش التشيكى من أحدث الجيوش سلاحًا ومعدات ، وأكثرها كفاءة ، وتخوفهم من مثل هذه المجازفات . فى الوقت الذى أسفرت تحركات بنيش الرئيس التشيكى ، عن إفصاح ستالين زعيم روسيا السوفيتية عن وقوفه إلى جانب تشيكوسلوفاكيا ، وتجديد ديلاديه رئيس وزراء فرنسا الجديد ، عهد سلفه ، وإعلانه أن التزامات فرنسا نحو تشيكوسلوفاكيا « مقدسة ولا يمكن تجاهلها أو التنكر لها » .

بيد أنه ، وبرغم أن هتلر كان قد أفصح فى ١٨ يونيو ١٩٣٨ ، عن توجهه النهائى بالهجوم على تشيكوسلوفاكيا مطمئنًا قادته العسكريين بأنه لن يبدأ العمل إلاّ بعد التأكد بصورة جازمة ، فإن اللورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانى بوزارة تشمبرلين (بعد استقالة إيدن من وزارة الخارجية) ، أعلن فى مجلس العموم فى ٢٦/ ٧/ ١٩٣٨ بأنه « لا يعتقد أن المسئولين فى أية حكومة من حكومات أوروبا اليوم يريدون الحرب حقًا ».

وبدا أن رئيس الوزراء البريطانى المتبنى سياسة الملاينة طلبًا للسلام ، لم يقرأ ما يجرى من حوله قراءة جيدة ، فقد أعلن فون ريبنتروب وزير خارجية

ألمانيا ما تلقاه من سفيره فى إيطاليا أن موسولينى يطلب إبلاغه فى الوقت المناسب بالموعد المحتمل للعمل العسكرى ضد تشيكوسلوفاكيا .

وفى ٢ سبتمبر ١٩٣٨ نقل مايسكى السفير السوفيتى فى لندن أن موسكو ردت على استفسار فرنسى « بأن الاتحاد السوفيتى عازم على الوفاء بالتزاماته قبل تشيكوسلوفاكيا ، وأنه لا محل للقلق من موقف بولندا ورومانيا إذا كان لعصبة الأمم موقف واضح ، ولهذا فإن موسكو تنصح بدعوة العصبة للانعقاد بموجب المادة ١١ من الميثاق ، لوجود خطر بنشوب حرب ، ووجوب أن تعقد فورًا اجتماعات بين رؤساء أركان الحرب الروس والفرنسيين والتشيكوسلوفاكيين لدراسة طرق العون ووسائله ، مع إجراء مشاورات تستهدف إصدار بلاغ مشترك من فرنسا وروسيا وبريطانيا العظمى ، وعلى اعتقاد أن الولايات المتحدة ستؤيد معنويًا هذا البيان » .

وفى ١٠ سبتمبر ، أعلن بونيه وزير الخارجية الفرنسية ، أنه قدم إلى السفير البريطانى فى باريس حينئذ السير إيريك فيبس السؤال التالى : « من المتوقع أن يهاجم هتلر تشيكوسلوفاكيا غدًا . وإذا هاجمها فإن فرنسا ستعلن التعبئة العسكرية فورًا » .. فما هو رد بريطانيا العظمى ؟

وفى هذا الرد ، بدأ مسلسل اليوم الفارق الذى اكتملت فيه فصول مأساة ميونيخ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣٨ !

* * *

من تراب الطريق ! (٧٠٠)

يوم فارق [*] ومأساة متعددة الآثار (٢)

بيد أن الرد البريطانى جاء مائعًا فى سبتمبر ١٩٣٨ ، يتحدث عن عون محدد ومتواضع يقدم « فى غضون الستة أشهر الأولى للحرب » ـ من ثم بدا فيما يعقب ونستون تشرشل ـ وكأنه يعطى الفرصة ليحقق المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا « أمنيته » فى التنصل من تعهداته لتشيكوسلوفاكيا وترك التشيك يواجهون مصيرهم !

و فى المقابل ، ألقى هتلر فى نفس اليوم ١٢ سبتمبر ـ خطابًا فى شبيبة الحزب النازى فى نورمبرج ، هاجم فيه بعنف حكومة تشيكوسلوفاكيا ، الأمر الذى اضطرها لإعلان الأحكام العرفية فى بعض المناطق ، وانقطعت منذ ١٤ سبتمبر محادثاتها مع « هنلاين » زعيم الحزب السوديتى النازى فى تشيكوسلوفاكيا والذى فر فى اليوم التالى إلى ألمانيا ، منحازًا لها فى تربصها وفى مطلبها ضم « منطقة السوديت » إليها ، وهى شريط ضيق فى غرب التشيك على الحدود مع ألمانيا.

وبدأت الفصول الساخنة للمأساة !

بجلسة ٢١ سبتمبر بعصبة الأمم ، ألقى لتفينوف الثورى الروسى المخضرم ، والدبلوماسى السوفيتى ذائع الصيت ، خطاب روسيا السوفيتية،

(*) المال فى ١١ /٨/ ٢٠١٤

وأعلن فيه أن تشيكوسلوفاكيا تعانى من تدخل دولة مجاورة فى شئونها الداخلية ، وتتعرض لتهديد علنى وصريح بالهجوم عليها ، وشعبها من أقدم الشعوب الأوروبية وأكثرها حضارة ، وحصل على استقلاله بعد قرون من العبودية والإذلال ، ولكنه يجبر اليوم على حمل السلاح للدفاع عن استقلاله .

وأضاف مندوب السوفييت فى عصبة الأمم ، أن حكومته ردت من أيام على سؤال للحكومة الفرنسية عن موقف روسيا فى حالة تعرض تشيكوسلوفاكيا للعدوان « بأننا نعتزم الوفاء بالتزاماتنا طبقًا لميثاق العصبة ، ونعتزم أن نقدم لتشيكوسلوفاكيا بالتعاون مع فرنسا كل مساعدة بالسبل المتيسرة لنا ، ووزارة حربيتنا على استعداد للاشتراك فورًا فى مؤتمر يضم ممثلين عن وزارتى الحرب فى فرنسا وتشيكوسلوفاكيا لدراسة الوسائل المناسبة لمواجهة الظروف الراهنة » .

على أن الغريب ، فيما يبدى ونستون تشرشل ، أنه لم يكن لهذا البيان الروسى الرسمى والعلنى والصريح ـ الصادر عن دولة عظمى ، أى تأثير على المستر تشمبرلين رئيس الوزراء البريطانى ولا على موقف الحكومة الفرنسية من الأزمة . فقد تجاهلت الدولتان الأزمة والعرض السوفيتى ، ودون أى حساب لموازنة الأوضاع ضد هتلر !

و إزاء هذا التخاذل البريطانى الفرنسى ، ألقى هتلر مساء ٢٦ سبتمبر خطابًا فى برلين ، أشار فيه إلى إنجلترا وفرنسا بعبارات مهدئة مناسبة ، بينما حمل حملة عنيفة على التشيك ورئيسهم بنيش ، وهدد بصورة جازمة بأنه على تشيكوسلوفاكيا أن تجلو فورًا عن ما أسماه « بلاد السوديت » ، مع أنها

منطقة تشيكية ، مدعيا أنه بهذا « الجلاء » تكون القضية قد سويت ، وأنه لا يوجد له ـ للدكتاتور ـ مطلب إقليمى آخر فى أوروبا !

ومع أن هاليفاكس وزير الخارجية البريطاني بوزارة تشمبرلين ، قد وقع على بيان بذات اليوم تضمن أنه إذا وقع على الرغم من المحاولات التى يبذلها رئيس الوزارة البريطانية ، هجوم ألمانى على تشيكوسلوفاكيا ، فإن النتيجة الفورية ستكون إسراع فرنسا إلى مساعدتها ، ولا ريب فى أن بريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتى سيقفان إلى جانب فرنسا .

ومع أن التشيك عبأوا مليونًا ونصف مليون من الجنود وراء أقوى خط دفاعى فى أوروبا ، تسندهم قوات آلية ، رائعة التنظيم والعتاد !

ومع أن الجيش الفرنسى تمت تعبئته جزئيًا !

ومع أن الأدميرالية البريطانية أعلنت فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين من صباح ٢٨ سبتمبر ـ أوامرها بتعبئة الأسطول البريطانى !

ومع أنه قد بدأ فى غضون ذلك صراع قوي ومستمر بين الفوهرر ومستشاريه العسكريين الذين أفصحوا عن الخشية من وجود نحو من ثلاثين إلى أربعين فرقة تشيكوسلوفاكية محتشدة على حدود ألمانيا الشرقية ، وبدء قوات الجيش الفرنسى المتفوقة على قواتهم بنسبة ثمانية إلى واحد بتوزيع وحداتها على الجدار الغربى ، بينما فى وسع روسيا المعادية لهم أن تعمل من مطارات تشيكوسلوفاكيا ، كما فى استطاعة الجيوش السوفيتية أن تشق طريقها للأمام عبر بولندا ورومانيا !

ومع أن بعض الجنرالات الألمان قد دبروا ـ فيما عُرف لاحقًا ـ مؤامرة لاعتقال هتلر « وإنقاذ ألمانيا من هذا المجنون » . بينما أعلن آخرون أن

معنويات الشعب الألمانى هابطة ، وغير قادرة على الصمود فى حرب أوروبية ، وأن القوات الألمانية غير مستعدة لخوض المعركة !

ومع أن الأميرال ريدر ، القائد الأعلى للبحرية الألمانية ، وجه نداء عنيفًا إلى الفوهرر ، سرعان ما أكدته أنباء تعبئة الأسطول البريطانى !

ومع أن هتلر إزاء هذا كله قد أخذ يتردد ، وفى الساعة الثانية صباحًا ، أذاعت محطة الإذاعة الألمانية فى ٢٩ سبتمبر بيانًا رسميًّا ينفى عزم ألمانيا إعلان التعبئة العامة !

ومع أن وكالة الأنباء الرسمية الألمانية أذاعت فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح ذات اليوم ٢٩/ ٩ ـ بيانًا مماثلاً ! وسلمته إلى الصحافة البريطانية !

إلاَّ أن تشمبرلين ـ فيما يبدى ونستون تشرشل ـ لم يقرأ كل هذا ، وبدا أنه « **الرجل الوحيد**» الذى يوجه سياسة بريطانيا ويقود شئونها .. وأبرق إلى هتلر ـ **دون** أن يستشير أحدًا ـ يقترح عليه أن يقوم بزيارته! وبالفعل طار رئيس الوزارة البريطانية **ثلاث مرات** إلى ألمانيا ، وقد اقتنع هو ومستشاره اللورد راسيمان ـ بأن « فصل **منطقة السوديت** » عن تشيكوسلوفاكيا هو **السبيل الوحيد** لاقتناع هتلر الذى كان يعانى مما أسلفناه ، بالعدول عن مهاجمة تشيكوسلوفاكيا !!!

وكانت المرة الأخيرة التى طار فيها رئيس الوزراء البريطانى تشمبرلين إلى ميونخ للقاء هتلر ، وانضم إليه فيها ديلاديه رئيس وزراء فرنسا ، وموسولينى . بينما لم توجه دعوة إلى روسيا كما لم يسمح للتشيكيين أنفسهم بحضور الاجتماعات . ولم تبلغ الحكومة التشيكية فى ٢٨/ ٩ وبعبارات

جافة، إلاَّ بأن مؤتمرًا سيعقد فى اليوم التالى ٢٩/ ٩ يضم ممثلى الدول الأوروبية الأربع : بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا !

و فى سرعة هائلة ـ فيما يعرض تشرشل ـ اتفق الكبار الأربعة ووقعوا مذكرة ، بقبول المطالب الألمانية ، بأن يتم الجلاء عن مناطق السوديت فى خمس مراحل تبدأ اليوم الأول من أكتوبر وتنتهى فى العاشر منه ، ووضعت هذه الوثيقة أمام المندوبين التشيك الذين لم يحضروا الاجتماعات ، فأحنوا رؤوسهم خضوعًا وقالوا :« إنهم يريدون أن يسجلوا احتجاجهم أمام العالم على قرار لم يشتركوا فى وضعه ! » .

واستقال الرئيس التشيكى بنيش ، وغادر بلده ليجد الملجأ فى إنجلترا !

وبدأت عجلة تقطيع أوصال تشيكوسلوفاكيا !

فلم تكن ألمانيا وحدها المتكالبة على الفريسة !

وبعثت بولندا بإنذار لمدة ٢٤ ساعة ، لتستلم فورًا « منطقة تيشين » الواقعة على الحدود بين البلدين !

وإذ لم يكن هناك سبيل لمقاومة طلب بولندا ، فقد وصل المجريون يحملون ادعاءاتهم لاقتطاع جزء من الفريسة !

على أن ذلك ، لم يكن كل فصول وتوابع المأساة !

* * *

من تراب الطريق ! (٧٠١)

يوم فارق (*) ومأساة متعددة الآثار (٣)

هيئ لرئيس الوزراء البريطانى ، المستر تشمبرلين ، أن يستسلم لفكرة قفزت له ، كسابقتها ، فسارع دون أن يستشير أحدًا ، يسأل الفوهرر الدكتاتور الألمانى عما إذا كان يرغب فى الحديث إليه حديثًا خاصًا . كان من الطبيعى أن يهتبل هتلر هذه الفرصة ، فكان أن اجتمع « الزعيمان » فى شقة هتلر الخاصة بمدينة ميونيخ ، صباح الثلاثين من سبتمبر (١٩٣٨) **ولم يرافق أيًا منهما أحد ، ولم يحضر معهما أحد** إلاَّ مترجم واحد . وفى هذه الاجتماع (الخاص !) أخرج تشمبرلين الذى **انفرد** بقراره وفعله ، قصاصة بها مسودة بيان كان قد أعده ، يعلن أن « موضوع العلاقات الإنجليزية الألمانية هو أهم شيء بالنسبة للبلدين ولأوروبا كلها ، وأن الفريقين يعتبران أن الاتفاق الذى تم توقيعه بالأمس ، والاتفاق البحرى الإنجليزى الألمانى، هما رمز على رغبة شعبيهما (كما يجرى عليه اليوم حكام العالم الثالث) فى أن لا يلجأ قط (على نظام آخر الحروب) إلى محاربة أحدهما الآخر ! » .

ووقع هتلر الوثيقة فور أن قرأها ، دون ضجة ولا مناقشة ولا تردد ! فماذا كان حصاد هذه الوثيقة ؟

(*) المال فى ١٢ /٨/ ٢٠١٤

أدت ، بغض النظر عن قدرة تشمبرلين الذى لا يتهمه تشرشل فى نواياه، على تسويق ما استقل بقراره وفعله ، فإن حصادها المؤكد كان :

- تمزق فى الرأى العام الإنجليزى ، بل وبين أعضاء حزب المحافظين الذى ينتمى إليه تشمبرلين رئيس الوزراء رغم إجادته تبرير ما تبناه ، واستقالة وزير البحرية البريطانى دافيد كوبر ، الذى حافظ على كرامته واتسق مع القرار الذى كان قد أصدره بتعبئة الأسطول البريطانى ، فاستقال فى شجاعة لم تبال بأنه يعارض موقف زعيمه ورئيسه ، وألقى ـ بطلاقة وارتجال ـ خطاب استقالته فى أيام المناقشة الثلاثة التى دارت فى مجلس العموم حول اتفاق ميونيخ !

- بعثرة الموقف الذى كان يمكن أن تتوافق عليه الدول الأوروبية المتحفظة على أطماع ألمانيا النازية الهتلرية ، وضياع وقت بالغ الأهمية كان ينبغى لفرنسا وانجلترا تكريسه للاستعداد لمقاومة وصد وحصار أطماع هتلر التى قادت فى النهاية إلى الحرب العالمية الثانية !

- أحبطت الحكومة والشعب التشيكى ، وحولت تشيكوسلوفاكيا إلى حطام !

على أن أهم هذه الآثار ، فى نظرى وعلى ما أوضح ونستون تشرشل ، أنها مكنت لهتلر تمكينًا تجاوز به كل النذر التى كانت قد بدأت تناقشه فى دولته ، وأعطته شهادة انتصار لمنطقه وصواب تقديره أمام الألمان والقيادة العسكرية الألمانية العليا التى أصيبت بالخزى والخجل ، حين أظهرت الوثيقة أن الفوهرر كان على حق ، وأن عبقريته وإلهامه قد بَزَّا وحدهما ـ تقدير القادة

العسكريين وجميع الظروف العسكرية والسياسية المعاكسة . كان جميع الجنرالات الذين عارضوه من الوطنيين الصادقين ، وكانوا يكرسون أنفسهم وعملهم لقوة وصعود ألمانيا . ولكن ها هم قد أصيبوا بغصة شديدة أحسوا بها فى قرارة قلوبهم ، من أنهم ظهروا بمظهر غير اللائقين بمستوى الأحداث التى قدرها الزعيم الأوحد ـ هتلر ، تقديرًا فاتهم ولم يدركوا مراميه . ثم كانت الطامة الكبرى ، أن تحول اعتراض هؤلاء القادة ، أو معارضتهم ـ إلى نوع من الإعجاب بالمواهب الخارقة والحظ الخرافى للزعيم الأوحد الذى صار أخيرًا الحاكم المطلق والوحيد لألمانيا ، ومن ثم صار الطريق مفتوحًا على مصراعيه للنهاية الدامية التى قاد العالم إليها بإشعاله نيران الحرب العالمية الثانية التى عصفت رحاها بأرواح مئات ملايين البشر ، فضلاً عن الخراب والدمار الذى لم ينج منه حتى المنتصرون !!!

كان لافتًا أن يتصرف رئيس وزراء بريطانى ، بأسلوب منفرد لم تجر عليه العادة فى الديمقراطيات الغربية ، وأدى انفراده بقراره وفعله إلى نتائج وبيلة لم تعان منها دولته فقط ، وإنما عانى منها العالم بأسره بعد إطلاق العنان ـ نعم بغير قصد كما شهد له تشرشل رغم نقده الشديد له ـ للدكتاتور الألمانى ليمارس جنونه المجنون ، ويردى العالم فى هاوية مأساة وبيلة !!!

ثم كان لافتًا ، أنه رغم علو موجة تشمبرلين وكثافة ما استطاع أن يكرسه لتأييد منحاه ، إلاّ أن آليات الديمقراطية ، وفطانة الناس ، انحازت إلى الصواب فى النهاية ، وإن كان الثمن المدفوع لحين الاستفاقة غاليًا جدًّا ، ثم بقى درس آخر ، لا أحب أن أتركه بغير تعليق ، أن ونستون تشرشل ، على

مرارة النقد الذى وجهه إلى رئيس الوزراء البريطانى تشمبرلين ، فإنه لم يتهمه فى مقاصده ، ولم يدمغه كما يفعل السفهاء بالخيانة ، بل أطرى شجاعته فى الخطاب الذى ألقاه بمناسبة وفاته بعد عامين من تداعيات فصول هذه المأساة .

تتكرر المآسى بحكم أشياء كثيرة ، ولكن تبقى القدرة على تجاوزها أو تجاوز آثارها وتوابعها ، إذا انتصرت الفطنة والمصلحة العامة ، واستقامت النوايا والمقاصد ، وصحت العزائم وقادت الأمور فى الاتجاه الصحيح !

* * *